



النداء الخالد

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2020-10-12

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يسم الله الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. أيها الإخوة الأحباب: نتحدث اليوم إن شاء الله تعالى عن قصة الأذان، ذاك النداء الخالد المحبب إلى نفوس المؤمنين، القريب من نفوس المحبين، الذي نسمعه كل يوم خمس مرات.

الصلاة هي الفرض الوحيد المتكرر



الصلاة أقدس فريضة في الإسلام ولكن ربما لانهماكنا في أعمالنا وانشغالنا بدياننا، قد لا ننتبه إلى هذه الكلمات الراقية التي جُعلت دعوة للصلاة، تلك الفريضة التي هي أقدس فريضة في الإسلام، الفريضة المتكررة الوحيدة التي لا تسقط بحال، تعلمون أن الصيام يسقط عن المريض والمسافر، وأن الحج يسقط عن الفقير أو من لا يجد أمن الطريق، وأن الزكاة تسقط عمَّن لا يملك نصابها، وشهادة ألا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قد تكون في العمر مرَّةً يدخل بها الإنسان الإسلام، إلا أن الصلاة فرضٌ وحيث يتكرر كل يوم خمس مرات، ولا يسقطه مرضٌ ولا سفرٌ، له أحكامٌ خاصة في المرض والسفر لكنه لا يسقط، لأن الدين صلاة بل الصلاة عماد الدين، والدعوة إلى الصلاة تكون بالأذان.



الصوت الحسن جمال

الله تعالى من أسمائه الجميل، الصوت الحسن جمال، يحب الإنسان أن يسمع صوتاً حسناً ما دام مشروعاً، ليس غناءً فاحشاً، وإنما كلماتٌ طيبةٌ تدعو إلى الصلاة، كلماتٌ طيبةٌ في حب النبي صلى الله عليه وسلم، كلماتٌ طيبةٌ في حب الوطن، في حب الخير، في حب المعروف، ما الذي يمنع أن يكون الصوت حسناً نجوذاً به أصواتنا وندعو الناس إلى الخير، فالإسلام يدعو إلى الصوت الحسن، يدعو إلى المنظر الجميل لكن في طاعة الله، لأن بعض الناس إذا نظر نظرة لا ترضي الله فقلت له: غصّ بصرك عن المحارم، قال لك: (إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)! فيستخدم هذا الحديث الشريف الراقي من أجل شهوةٍ دنيئةٍ تدافعه نفسه إليها للنظر إلى عورات الآخرين والعباد بالله، وإنما (إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ) الجمال هو ما حسنه الشرع، الجميل هو الجميل في نظر الشرع، الجميل في نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس الجمال الذي نظنه جمالاً وهو في حقيقته بعيدٌ كل البعد عن الجمال، فالحشمة جمال لكن لا يدرك ذلك إلا أصحاب النظر الثاقب والإيمان العميق، الحشمة جمال والتعري قبح وليس جمالاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَا تَيْبِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا بُوَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِبْسًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

(سورة الأعراف: الآية 26)

إيها الأحباب: الإسلام يدعو إلى الجمال، ولكن ما جعله الشرع وما حسنه الشرع، لا ما جعله بعض النفوس المريضة، من النظر إلى العورات وتتبع ما لا يرضي الله تعالى. (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَلْبُهُ الْحَمْدُ) حَمِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ وَفَّقَهُ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي يُدْعَى النَّاسُ بِهَا إِلَى الصَّلَاةِ بَدَلًا مِنْ أَن تَكُونَ الدَّعْوَةُ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ خِلَالِ أَنْغَامٍ لَا مَعْنَى لَهَا، وَإِنَّمَا بِكَلَامٍ رَاقٍ.

نعمة البيان من أعظم نعم الله على الإنسان

إخواننا الكرام: يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ

(سورة الرحمن: الآية 1-2-3-4)

قال تعالى: (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) قبل أن يقول: (خَلَقَ الْإِنسَانَ) مع أنه بالترتيب الزمني خُلِقَ الإنسان ثم عَلَّمَ القرآن، لكن الله تعالى قال: (عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ) لماذا؟ أنت عندما تشتري آلة عظيمة النفع عالية الثمن، أليس منهج التعامل معها أهم منها؟ لأنك إن لم يكن معك المنهج في التعامل معها إما أن تهملها فلا تنتفع بها، أو أن تُشغّلها بغير منهج فتعطيلها.



لا معنى للوجود من غير منهج يسير عليه

فالله تعالى قال: (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) قبل قوله: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) لأنه لا معنى لوجود الإنسان من غير منهج يسير عليه، فقدّم تعليم القرآن على خلق الإنسان تقديمًا زمنيًا، الرتبة في تعليم القرآن أهم من خلق الإنسان نفسه، لأنه لا معنى له إن لم يسر على منهج يقول له: هذا حلال، هذا حرام، هذا يجوز، هذا لا يجوز، إذاً المنهج أهم من الإنسان. ما أريد الوصول إليه في الشاهد هنا هو (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)، (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) البيان من أعظم النعم التي امتنّ الله بها على الإنسان، بأنه يستطيع أن يتفاعل مع الآخرين من خلال البيان، باللغة الواحدة تتفاعل مع بعضنا، وباللغات الأخرى تتفاعل مع الشعوب الأخرى، وبالترجمة يتفاعل شعبٌ مع شعبٍ آخر، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

(سورة العلق: الآية 1-2-3-4)

القلم ينقل المعارف، فمن نعم الله العظمى على الإنسان أنه ذو بيان، يبين ما يريد من خلال اللغة، فالأذان بيان لغوي رائع جداً، لو نظرنا في معانيه لوجدنا فيها الخيرات الكثيرة.

تفريغ الكثير من الكلمات الإسلامية الراقية من مضمونها



العزمُ على الفعل مع تعليق المشيئة لله

المشكلة أيها الأحباب أن في ديننا أذكارة كثيرة نقول: الله أكبر، بعد الصلاة نقول: سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله، أذكارة كثيرة، لكن لأننا درجنا على قولها ربما بعد حين لا تنتبه إلى معانيها الراقية، يجب على الإنسان إذا قال: الحمد لله أن ينتبه إلى ما يقول، إذا قال: سبحان الله أن ينتبه لما يقول، إذا قال: إن شاء الله أن ينتبه لما يقول، عابوا علينا قبل فترة أننا نقول: إن شاء الله حتى قالها هذا الرجل في أمريكا وكأنه يستهزئ، لأنها أصبحت كلمة تدل على أن الإنسان إن قال: إن شاء الله فهو ينوي في داخل أنه لا يريد أن يفعل، وإنما هي في الحقيقة عزمٌ على الفعل لكن مع تعليق المشيئة لله عز وجل لأن الإنسان قد يمنعه مانع، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

(سورة الكهف: الآية 23-24)

وتذكر النافورة في البحرة الشامية، وتذكر طفولته يوم كان يرتع في البيت، وربما دمعت عينه حيناً إلى دمشق، فكل إنسان سمع الكلمة نفسها، لكن كل إنسان طافت به طوافاً، لله المثل الأعلى، هو مجرد مثل، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَصُرْتُ لَللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ

(سورة إبراهيم: الآية 25)

إذا قلت لك: الله، اللُّهُ أَكْبَرُ، كل إنسان له تجربة مع الله، بقدر تجربته مع الله يعظم الله في قلبه، يتذكر نعم الله عليه أنعم عليه الله بالنعم الجسيمة العظيمة، يتذكر تراويح رمضان، يتذكر زيارته الأولى لمكة، يتذكر وقوفه عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتذكر ساعات السَّخَر التي يقضيها في مناجاة الله، يتذكر صلوات الجماعة التي يقضيها مع الله، يتذكر السجود، فكل إنسان بحسب معرفته بالله يكون تقديره لله، الكلمة واحدة، لكن كل إنسان له تجربة مع الله عزَّ وجلَّ يتذكر بها الله، فينبغي للإنسان أن يعظم الله عزَّ وجلَّ، فإذا عظم الله في نفسه وفي ذاته عظمة الحرمات في عينه فلا يَنْتَهِكها، لأن الأمر هو الله، هذا معنى درس التعظيم.



الله أكبر من كل شيء

اللُّهُ أَكْبَرُ، أكبر من كل شيء، أكبر من تَفْسِكِ الَّتِي بَيْنَ جَنَّتِكَ، أكبر من مال تأخذه من مصدر لا يحل أن تأخذ المال منه، أكبر من صفقٍ تجاريٍّ ليست في مرضاة الله، فيها مضره للناس، فيها بناء مجدٍ على أنقاض الناس، اللُّهُ أَكْبَرُ، لا أريد أن أخسر علاقتي بالله عزَّ وجلَّ من أجل دنيا فانية، فاللُّهُ أَكْبَرُ، هذا هو درس التعظيم، اللُّهُ أَكْبَرُ، الآيات الثلاث:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

(سورة الزمر: الآية 67)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا سَبْرًا مِّنْ شَيْءٍ

(سورة الأنعام: الآية 91)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ

(سورة الحج: الآية 74)



المؤمن يرى العزة في طاعة الله

فعندما لا تعرف أن مالك يوم الدين هو الله، والسموات والأرض بيده فلا تُقدِّره حق قدره، وعندما لا تقرأ في كتابه لا تُقدِّره حق قدره، (إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء)، وعندما لا تتعرف إلى أسمائه الحسنی، القوي، العزيز، العظيم، الرحمن، الرحيم، لا تُقدِّره حق قدره، فالمؤمن أيها الأجيال ميزته عن غير المؤمن أنه إذا نظر نظر بنور الله، فإنه يرى الشفاء في معصية الله، ويرى العزة في طاعة الله، بينما غير المؤمن لا ينظر إلى أبعد من أنفه، فيرى اللحظة الآنية، فيرى أن هذه اللحظة من حرام ستحقق له متعة جسدية، أو مبلغاً مالياً فيقدم عليه، دون أن يدقق أهدأ برضى الله أم لا يرضى الله؟ لأنه لم ينظر بنور: الله أكبر، أما المؤمن فينظر بنور: الله أكبر، فالله أكبر من كل شيء، فهي ليست كلمة تقال بقدر ما هي معنى يعيشه الإنسان في حياته، تذكر: الله أكبر، فلا تعصى خالقك وترضى مخلوقاً من مخلوقات الله، لأن الله جل جلاله أكبر، هذا الدرس الأول وهذا يتكرر أكثر شيء الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، وفي نهاية الأذان: الله أكبر الله أكبر.

2.1 التوحيد

الدرس الثاني من اعرف ربك: هو التوحيد، لا يكفي أن تقول الله عظيم، الله عظيم واحد لا شريك له، أشهد أن لا إله إلا الله، أنت تشهد بالوحدانية لله، تشهد وكأنك ترى عينك وحدانية الله، في كل شيء خلقه الله



كل شيء يشهد بأن الله واحد لا شريك له

في هذه الشجرة دلائل على أن الله واحد لا شريك له، وفي تلك القطعة شهادة على أن الله وحده لا شريك له، في كل شيء تنظر إليه يشهد لك هذا الشيء بأن الله واحد لا شريك له، في كل شيء في السماوات وفي الأرض، فشهادة الوحدانية تعني أنه لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله، لا نتجه إلا إلى الله، لا نرضى إلا الله، لا نطيع إلا الله، لا نخشى إلا الله، لا نحب إلا الله، لا يعني أنه لا يحب الآخرين لكن يحبهم في الله إن قربت محبتهم إلى الله بهذا المعنى، فالمؤمن يحب لكن يحب في الله، ويخشى ولكن يخشى في الله، ويغضب لكن يغضب لله، ويرضى لكن يرضى لله، أموره كلها مرتبطة بخالقه جل جلاله، فأشهد أن لا إله إلا الله هذا درس التوحيد.

التوحيد أول واجب تدخل به وآخر واجب تخرج به، عندما يولد المولود يؤذن في أذنه اليمنى ويقام في أذنه اليسرى، فيقال له: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، فيدخل التعظيم والتوحيد في أذن المولود أول شيء، ولما يريد إنسان أن يدخل في الإسلام، يدخل بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله، ولما يريد إنسان أن يخرج من الدنيا ففلاحه ونجاحه أن يخرج منها بلا إله إلا الله

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ }

اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قد يقول قائل: سهلة وهو على فراش الموت لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لا والله ليست سهلة، ما أبسرها على من عاش حياته على لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وما أصعبها على من قضى حياته وهو يعيش لكل شيءٍ إِلَّا لله، والعباد بالله، كم من أناسٍ وهذا مشاهد يرويه أشخاصٌ عن أشخاصٍ، كم من أناسٍ نطقوا بها أمامه على فراش الموت عشرات المرات، وهو لا يستطيع أن يقولها مرّةً، فالموفّق من وفقه الله إليها، ابن قيم الجوزية رحمه الله ذكر قصة مؤذنٍ والحديث عن الأذان نسأل الله السلامة، قال: هذا المؤذن كان يدعو الناس إلى الصلاة، الله أكبر الله أكبر.

{ الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ اعْتِقَافًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ }

(رواه مسلم)



المؤذن له فضلٌ عظيمٌ في الإسلام

المؤذن له فضلٌ عظيمٌ في الإسلام، يدعو الناس إلى الصلاة، لكن هذا المؤذن يبدو أن في ديبه رقةً، فكان يؤذن يوماً، فرأى امرأةً تبحث عن مكان، فنزل فسألها قالت: أين الطريق إلى حمامٍ منجاب؟ حمامٌ اسمه منجاب، فوقعت في قلبه والعباد بالله، فقال لها: من هنا، وأشار إلى بيته، فدخلت في بيته، فدخل وراءها وأغلق الباب، فاحتالت عليه لتهرب منه، فقالت: يصلح أن يكون معنا الليلة ما يسرنا، قال: الليلة أتيتك بكل ما تحتاجينه، فخرج ليحضّر الطعام والشراب فهربت منه، فلما رجع لم يجدها، فجعل يغني ويقول:

يقول ابن القيم رحمه الله: فلما حضرته الوفاة جاءه بعض الناس يقولون له: قل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فجعل يقول:

فمن عاش على شيءٍ مات عليه، حسب ما يشغل الإنسان قلبه، فالذي تشغل قلبه الصلاة، ويحافظ على الخمس صلواتٍ في اليوم وفي الليلة، ويحرص على أداء صلاته، الله عز وجل إن شاء الله يوفقه إذا كان على فراش الموت أن ينطق بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فيختم له فيها وتكون الجنة داره، إذا درس الأول: اعرف ربك: هو قسمان: تعظيمٌ، وتوحيد.

2. اعرف رسولك

الدرس الثاني: اعرف رسولك: أشهدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، محمدٌ صلى الله عليه وسلم قائدٌ محتك، أبٌ رقيق، زوجٌ حنون، مصلحٌ عظيم، عبقريٌّ من عباقرة الدنيا، لكن إذا أردت أن تصفه بوصفي واحد فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم.



الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم

اليوم البعض من حيث لا يدري، وبعض المستشرقين من حيث يدرون يصفون محمداً صلى الله عليه وسلم بالعبقرية والذكاء والدهاء، وهم مصيبون فهو عبقرٌ صلى الله عليه وسلم بمعنى الذكاء العظيم قاد أمةً، لكن يريدون بذلك أن يهزوا ويلمزوا من أنه نبيٌ يوحي إليه، بعضهم من حيث يشعرون، وبعضهم من حيث لا يشعرون، لكن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبٌ وحي عندما ينطق عن وحي، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ

(سورة النجم: الآية 3-4)

فعندما نصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصفٍ جامع مانع نقول: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لأنك عندما تقول: محمدٌ رسول الله فأنت تؤمن بالرسالة وتؤمن بالمرسل إليه وتؤمن بالمرسل جلّ جلاله، أنت عندما تشهد له بالرسالة فأنت تؤمن بما جاء به من الوحي من الكتاب والسنة الصحيحة وتؤمن بالله الذي أرسله، وتؤمن به صلى الله عليه وسلم رسولا من عند الله، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ

(سورة المؤمنون: الآية 69)

لا بد أن تعرف رسولك صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديثه الشريفة، من خلال سنته العطرة هذا معنى: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أما أن يشهد إنسانٌ لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وهو لا يعرف شيئاً عن الرسالة فهذه مصيبةٌ كبرى، لا بد أن تتعلم أكثر سنة نبينا صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة.

3. التعريف بالآمر قبل الأمر

أيها الإخوة الأحباب: الآن هذا الجانب النظري في الأذان، الجانب النظري اعرف ربك، اعرف رسولك، اعرف ربك عظيماً واحداً، واعرف رسولك مرسلأً من عند خالقه جلّ جلاله، هذا جانبٌ نظري، أُتدوِّجِي، فكري، بالعبارات الحديثة، عقدي بالمصطلح الشرعي.



التعريف بالآمر قبل التعريف بالآمر

الآن بعد ذلك قال: حَيَّ عَلَى الصَّلَاة، متى دعاك إلى الصلاة؟ بعد أن عرفك به وبرسوله صلى الله عليه وسلم، الآن أنت تنطلق من عقيدة، أنت الله أكبر عندك من كل شيء، وهو واحد لا شريك له، وطاعته أوجب الواجبات، ورسوله صلى الله عليه وسلم صاحب السنة التي ينبغي أن تتبعها في الصلاة، الآن قال لك: حَيَّ عَلَى الصَّلَاة، هذا منهج لنا جميعاً في دعوتنا مع أولادنا، أن ننطلق بالتعريف بالآمر قبل أن ننطلق إلى التعريف بالآمر، الأمر ثم الأمر، أو الأمر والأمر معاً.

الآن لو جمعت مليار مسلم فرصاً وعندك مكبر صوت يُسمعهم جميعاً، لا ندري ما تخبئه لنا الأيام، أو عبر وسائل التواصل وسألتهم جميعاً: الكذب حلالٌ أم حرام؟ صنع هذه أو هذه، أنا أتوقع أن المليار مسلم سيكثبون: حرام، لا يوجد مسلم اليوم لا يدرك أن الكذب حرام، فإذا نزلت إلى الأسواق تجد واقع كثير من المسلمين مختلفاً عن الإجابة، يكذب ليحصل مالا إذا هل مشكلته أنه لا يعرف أن الكذب حرام؟ لا والله، مشكلته أنه لا يعرف أن الله عز وجل أكبر، أمره ألا يكذب، مشكلته لا يعرف أن الله تعالى إذا أمر ينبغي أن يطاع، لأنه عظيم وواحد جلّ جلاله، إذا مشكلته نقص في الإيمانيات أم عدم معرفة بالسلوكيات؟ بل في الإيمانيات، إذا ينبغي أن ننمي الإيمان في أبنائنا، في طلابنا، في دعوة الناس إلى الله، الإيمان أولاً أن ينهي الإيمان في النفوس قبل أن ينهي في الحركات، الحركات تأتي تبعاً للإيمان، الإيمان يجعل الإنسان يستقيم على أمر الله تعالى، فلذلك قال: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قوموا إلى الصلاة، ما معنى حَيَّ عَلَى الصَّلَاة؟ هلموا، أقبلوا، قوموا، الآن ينهض المؤمن إلى الله الذي يعرفه وإلى تطبيق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يحبه، حَيَّ عَلَى الصَّلَاة، أقبل على الصلاة، أسرع إلى الصلاة.

4. الدعوة إلى ما يبقى من عملٍ ليوم القيامة



كل ما يبقى يسمى فلاحاً

حَيَّ عَلَى الْقَلَّاحِ، الفلاح في الأصل هو البقاء، كل ما يبقى يسمى فلاحاً، الإنسان إذا أكل وشرب وجمع مالاً هل من عاقل يقول: إن هذا يدوم؟ عاقل وليس مؤمناً! اتنني بملحٍ لا يؤمن بوجود الله والعباد بالله، هل يستطيع أن ينكر أن كل ما معه لن يدوم له؟ إذا قال: سيدوم لي ففي عقله مشكلة! لا يستطيع إنسان أن ينكر أن كل ما في الدنيا لن يدوم، لأن الناس ترى بعينها الموت، الموضوع مشاهد ليس غيباً بل شهادة، الكبير يموت والصغير يموت، والحاكم يموت، والمحكوم يموت، والملوك يموتون، والرؤساء يموتون، والصغار يموتون، والأغنياء والفقراء والعقلاء وغير العقلاء، الكل يموت.

فإذا قال إنسان: أنا لن أموت فهذا اتهمه في عقله، إذاً لا شيء في الدنيا يدوم، فالله تعالى لما يدعوك يدعوك إلى ما يبقى، حَيَّ عَلَى الْقَلَّاحِ، الذي يبقى هو صلتك بالله الذي تلقاه يوم القيامة، هذا هو الذي يبقى، فلماذا تأتي ما يفنى وتترك ما يبقى؟ هذا معنى: حَيَّ عَلَى الْقَلَّاحِ، قم إلى البقاء، قم إلى ما تجده يوم القيامة أضعافاً مضاعفة، الفلاح هو البقاء، الفلاح هو النجاح، هو الفوز، هو التفوق، والفلاح في القرآن الكريم ورد عدة مرات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ

(سورة المؤمنون: الآية 1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(سورة البقرة: الآية 5)

لأنهم يحققون الهدف من وجودهم، والفلاح لا يكون إلا عندما تحقق الهدف من وجودك وهو أن تدخل الجنة بسلام، وأن تعبد الله حق عبادته، فلذلك قال: حَيَّ عَلَى الْقَلَّاحِ، قوموا إلى ما يدوم، إلى ما يبقى، إلى الخير، إلى الفوز، هذا معنى حَيَّ عَلَى الْقَلَّاحِ.

الفرق بين الحياة والمعيشة في القرآن الكريم

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

(سورة الأنفال: الآية 24)

هذه هي الحياة، الإنسان يوم يلقى أجله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قَدْ مَتَّ لِحَيَاتِي

(سورة الفجر: الآية 24)



المؤمن جُلَّ اهتمامه لخدمة الأبد

وهذه التي كنت فيها ما هذه؟ هذه حياة، لكن حياة دنيا، لكن أنت قدمت لحياتك الأخرى الباقية الممتدة، هذه الذي ينبغي أن تقدّم لها، الناس جُلَّ اهتماماتهم في تلك الثمانين عاماً أو التسعين أو المئة التي سيعيشها، جُلَّ اهتمامه موظفٌ من أجل خدمة ثمانين سنة، لكن المؤمن جُلَّ اهتمامه لخدمة الأبد، الثمانين سنة يستخدمها ولا يخدمها، يملكها ولا تملكه، تنقاد له ولا ينقاد لها، لكنه موظف كل ما أتاه الله من إمكانيات من أجل ما يبقى وما يدوم، هذا حيّ على الفلاح، (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قَدْ مَتَّ لِحَيَاتِي)، (اسْتَجِيبُوا لَهُ وَارْسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

(سورة طه: الآية 124)

لم يقل حياة، هذه ليست حياة الذي يعرض عن ذكر الله يعيش، يأكل ويشرب لكنه لا يحيا أما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً

(سورة النحل: الآية 97)



الحياة تكون بالإيمان والعمل الصالح

هذه الحياة، بالعمل الصالح حياة، بالإيمان حياة، بغير الإيمان معيشة وضنك فوقها، يعيش لبأكل ويشرب وينام ويقضي من الدنيا ما يقضي، لكن بضنك، بضيق في القلب، لأنه يعيش ولا يحيا أما المؤمن فيحيا مع الله (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)، ثم يختم الأذان بعودة إلى الأصل، انظروا بدأ بالله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، ويختم بالله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، لأن الأصل هو الإيمان، الأصل هو التعظيم، الأصل هو التوحيد.

أدعية الاستفتاح في الصلاة

وأختم بهذا الحديث الشريف:

{ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: بَيَّتَمَا تَخُنُّ تُصَلِّيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: عَجِبْتُ لَهَا، فَبَحِثْ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ {
(صحيح مسلم)

من أدعية الاستفتاح في الصلاة:

{ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ،
إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {
(رواه الطبراني)

هذا دعاء من الاستفتاح، ومن أدعية الاستفتاح التي لا ينبت لها بعض الناس: (اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)، ومن أدعية الاستفتاح أيضاً:

{ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى التَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي
مِنَ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالتَّبَرِّ {
(صحيح ابن حبان)

هذا أيضاً من أدعية الاستفتاح.

أدعية استفتاح الصلاة كثيرة، منها هذا الدعاء، (اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُحُوحٌ لِلَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) فقال صلى الله عليه وسلم: عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فهذه دعوة إن شاء الله إذا سمعنا الأذان أن نتمتع في تلك المعاني الراقية وأن ننهض إلى صلاتنا.

والحمد لله رب العالمين.

نور الدين الاسلامي